جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة : 2022– 2023

المستوى : ماستر1 السداسي : الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: العمارة في المغرب الإسلامي

أستاذ المادة : أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: أضرحة المغرب الإسلامي

أضرحة المغرب الإسلامي

الأضرحة الموحدية

تقع مجوعة من أضرحة بني مرين في أعلى التل المشرف على باب الجيسة المعروف قديما باسم جبل العرض ثم جبل الزهفران، وتعد من أقدم المقابر بفاس، حيث يعود تاريخها إلى مطلع القرن الخامس الهجري، وتضم فيها قبر القاضي ابن محمود المتوفى سنة 401هـ وأبو الجبل الفاسي سنة 501هـ ، وهذا حسب روض القرطاس.

وقد اكتسبت المنطقة أهمية منذ القرن السابع الهجري عندما شيدت بها قلعة حصينة تشرف على مدينة فاس القديمة، بنا فيها السلطان الموحدي محمد الناصر أربعة أضرحة يحيط بها سور، وبنا خارجه جامعا وحماما، جلب إليهما الماء من وادي فاس، وقد خربت المجموعة المعمارية في أواخر الدولة الموحدية.

وقد وصف حسن الوزان ضخامة تلك الأضرحة وزخرفتها على الحجر والرخام والكتابات المنمقة بألوان زاهية، وذلك قبل تحولها إلى أطلال، ويمكن تمييز ضريحين في مواجهة فاس العتيق، وقد سقط سقف أحدهما، ويتميز الضريح الشرقي بارتفاعه وبقايا كتاباته الموجودة داخل إطار مستطيل يحيط بعقد بابها، إلى جانب نقوش جصية وأثار فتحات وسقوف وبابان متقابلان.، وتدل أثار الضريح الغربي الذي يحتفظ ببعض الزخارف الجصية على أنّه كان أقل ارتفاعا من الضريح الشرقي، كما يوجد في سفح الجبل بتجاه الغرب بقايا ضريح متوسط الارتفاع .

الأضرحة الزيانية

ضريح
سيدي إبراهيم المصمودي

نبذة تاريخية

هو الولي أبو إسحاق أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد، أصله من صنهاجة وأخذ العلم بفاس عن جماعة من العلماء، وتفرّغ للفرائض الدينية، مقبلاً على العلم والعبادة والاجتهاد، تتلمذ عليه الكثير من الطلبة، توفي عام 805هـ ودفن بروضة آل زيان من ملوك تلمسان

وقد نُسِبت هذه الروضة فيما بعد إلى الشيخ سيدي إبراهيم المصمودي، وهذه عادة عند السلاطين الزيانيين أن ينسبوا المعالم الدينية إلى الأولياء تكريماً لهم ولعلمهم، ولا ينسبوها إلى السلاطين مع الإشارة إلى أن هذا الولي قد دفن بهذه الروضة الملكية 80 عاماً بعد تأسيسها.

موقع الضريح

يقع الضريح ضمن مجمع معماري لم يبق منه سوى الضريح والمسجد، حيث يحاذيه المسجد من الجهة الشرقية والساحة التي من المفروض أنها كانت تتضمن في طياتها بقايا المدرسة اليعقوبية من الجهة الشمالية، ليحيط به من الجهات المتبقية السور الذي يحيط أيضا بالمسجد وملحقاته، وهو يمتد على مساحة مستطيلة.

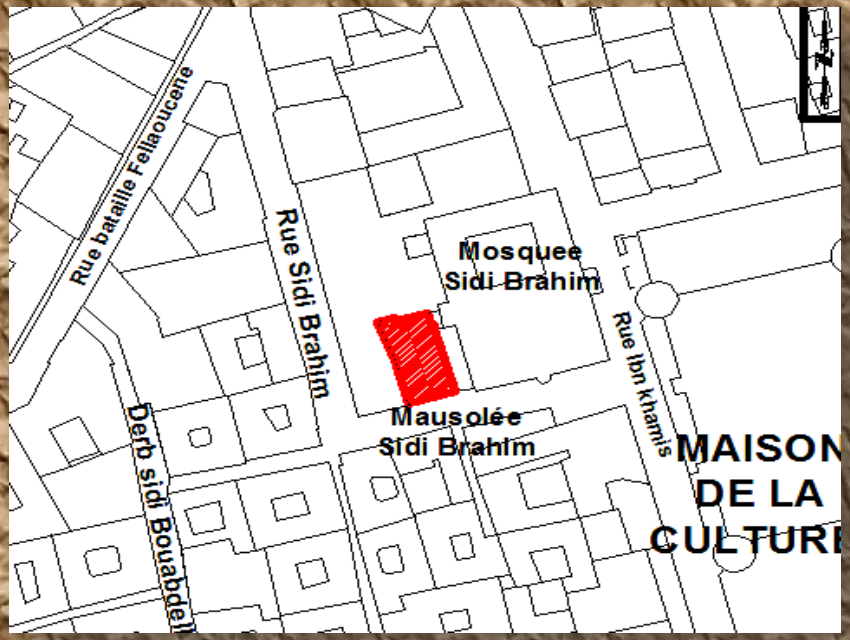

الوصف المعماري

يتكون الضريح من صحن وقاعة الدفن التي تعلوها قبة، ويتم الدخول إليها بواسطة باب يعلوه عقد حدوي.
يتقدم حجرة الدفن صحن مربع الشكل مكشوف طول ضلعه 5,65م، يتوسطه نافورة، ويحيط به رواق من الجهات الأربعة، يطل على الصحن بواسطة عقود حدوية تحملها أعمدة رخامية، حجرة الضريح قريبة من المربع (8,30 ×8,10م)، يتوسطها شاهد قبر الشيخ إبراهيم المصمودي، وفي وسط الجدار المقابل للقبر تجويفة على هيئة محراب. يبلغ إرتفاعها 3.18م وعرضها 2.42م أما عمقها ف60 سم

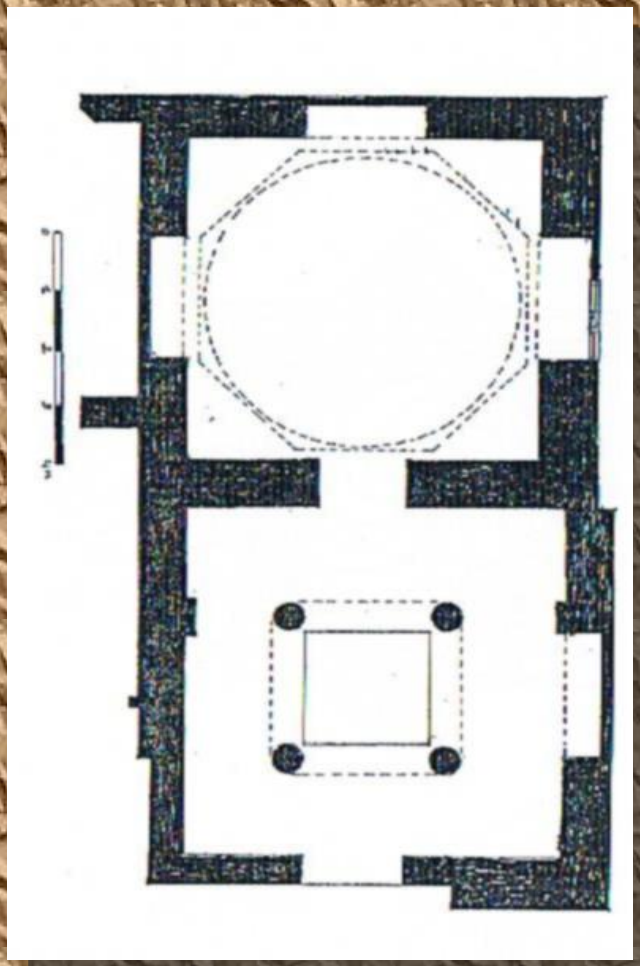

الزخرفة

تزين جدران قاعة الدفن بضريح سيدي إبراهيم المصمودي زخارف نباتية وهي عبارة عن مراوح نخيلية بنوعيها البسيط وعلى شكل علامة الاستفهام، مع صيغ كتابية كـ العز لله، والملك لله والشكر لله في إطار هندسي بديع فوق الجص.

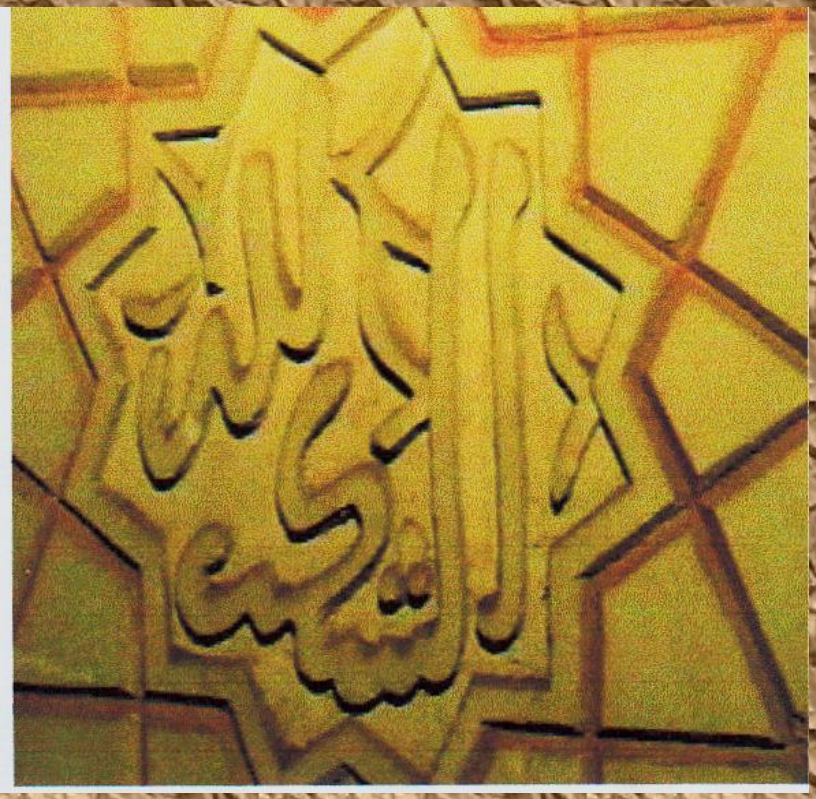

أضرحة بني مرين

ضريح
سيدي أبي مدين شعيب

نبذة عن سيدي أبي مدين شعيب

سيدي أبي مدين هو شعيب بن الحسن الملقب بأبي مدين.، ولد بإشبيلية سنة 520 هـ/ 1126م في عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين. درس بالأندلس وطنجة ومراكش وفاس، حيث تلقى العلم على يد ابن حرزهم ثم اتصل بالمتصوف أبي يعزى، كما أخذ العلم على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن الشاوي، وتعرف عند ذهابه إلى مكة بالشيخ عبد القادر الجيلاني فأخذ عنه، وعند عودته استقر ببجاية فكثر فيها أتباعه فسعوا به عند السلطان الموحدي يعقوب المنصور، فاستقدمه إلى مراكش.

ولما وصل مشارف تلمسان وهو في طريقه إلى مراكش بدت أمامه رابطة العباد، فقال لأصحابه << ما أصلحه للرقاد>>، فمرض، ولما بلغ وادي يسر اشتّد به المرض فتوفي سنة 594 هـ /1198 م ونقل جثمانه إلى العباد ثم دفن فيه، ثم ابتني له ضريحا.

تاريخ الضريح

بعد وفاة سيدي أبي مدين، أمر السلطان الموحدي محمد الناصر ببناء الضريح فوق قبره، ويبدو أنّ السلطان الزياني يغمراسن بن زيان زاد في تنميقه وزخرفته، ولكن ليس لدينا دليلا على ذلك، شهدالضريح أثناء استيلاء السلطان المريني أبي الحسن على مدينة تلمسان 737 – 748 هـ / 1336 – 1447م إعادة بناء شامل، مع إضافة منشآت معمارية أخرى بجواره، فشكلت مجمعا معماريا متكاملا. كما تمّ ترميمه وإعادة زخرفته في العهد العثماني وحسبما تشير إليه الكتابة التذكارية عند مدخل قاعة الدفن، فقد تمت العملية من طرف الفنان الهاشمي ابن صارمشق بأمر من باي الغرب محمد الكبير سنة 1208هـ/1793م، كما تعرّض الضريح إلى عدّة حرائق كان آخرها في نوفمبر من سنة 1994 م، حيث أدّى هذا الحريق إلى إتلاف كل الألواح الخشبية بما في ذلك التوابيت، ومعظم الزخارف الجصية والبلاطات الخزفية التي كانت تغطي جدران الصحن وقبة قاعة الدفن، وقد تمّ ترميم الضريح فيما بين سنة 1998-2000م .

الوصف المعماري للضريح

يوجد الضريح ضمن مجمع معماري يتكون من الجامع والمدرسة وبيت الوكيل والقصر، ويقع مدخله أمام المدخل الرئسي للجامع.

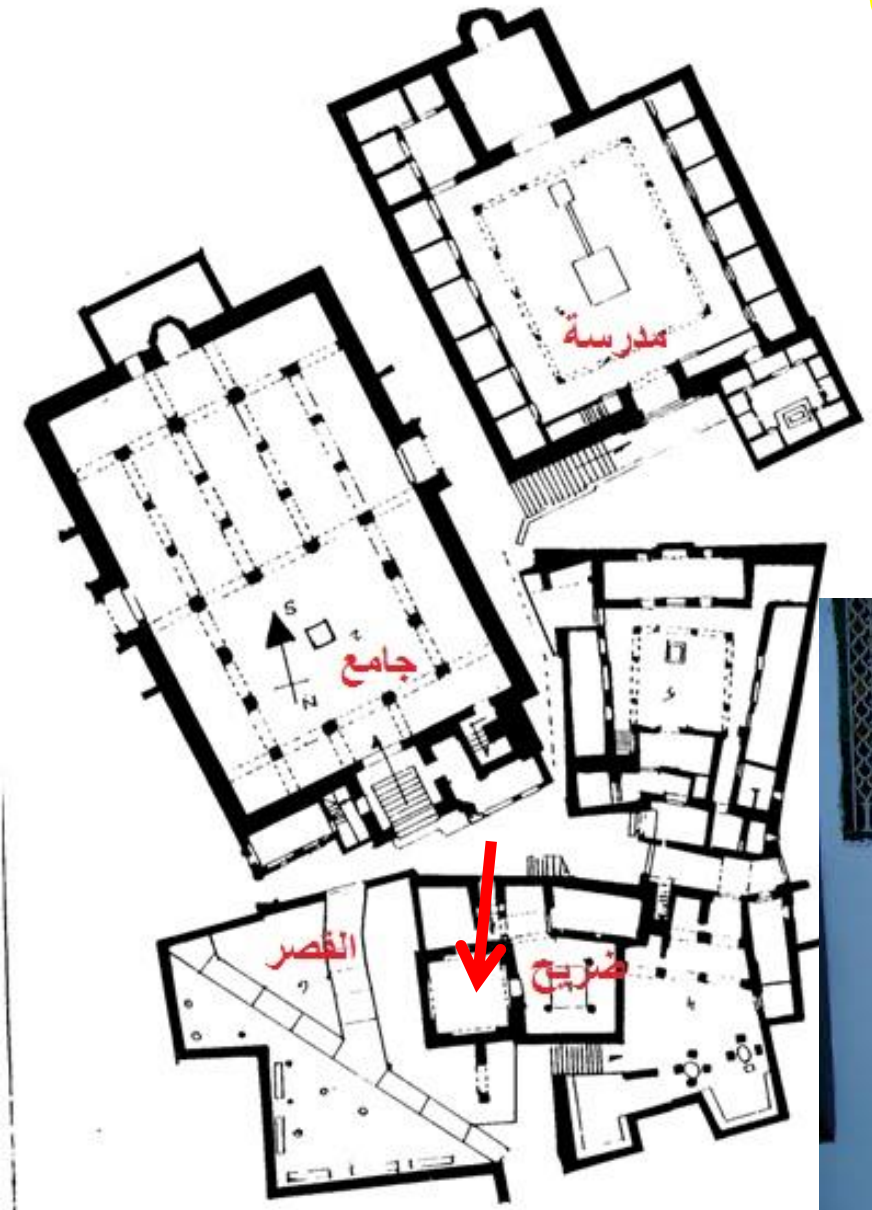

الوصف المعماري

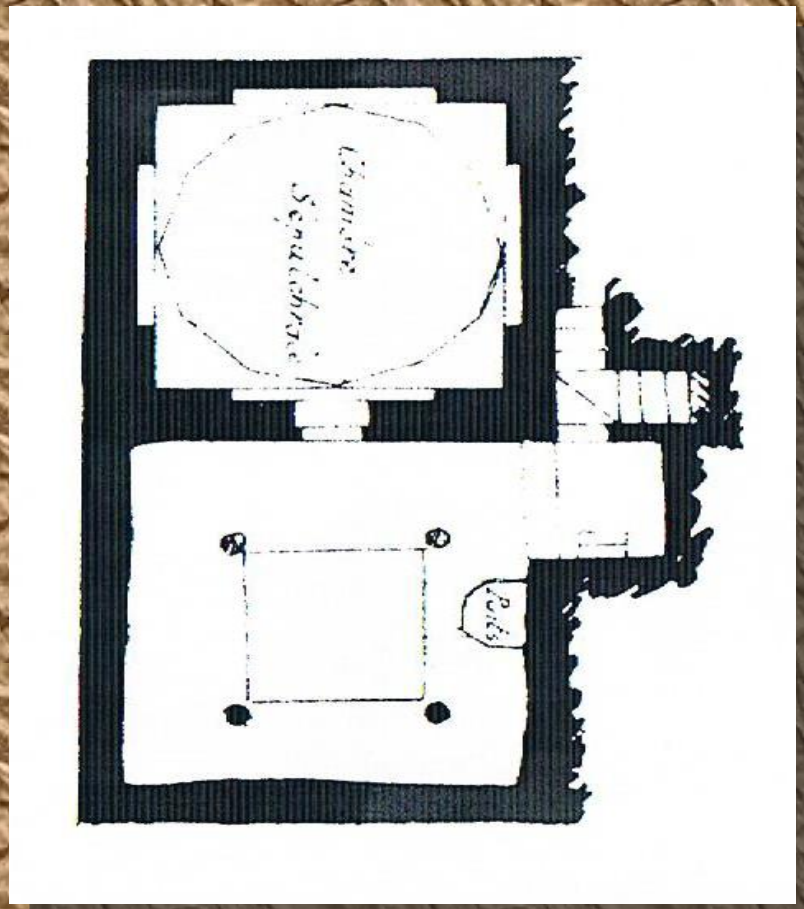

يتكون الضريح من غرفة الدفن يتقدمها صحن مربع.

يؤدي المدخل الذي تعلوه الشرعة أو الظلة بواسطة سلم نازل إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل (3.80م x 3.20م)، يقع على يمين الداخل، ثم ننزل نحو اليسار إلى صحن مربع (5.40× 5.40م^2) مغطى بقبة ترتكز على أربعة أعمدة رخامية بواسطة عقود نصف دائرية وتحمل الأعمدة تيجانا؛ اثنان منها استقدمت حسب الكتابة الموجودة عليها من قصر أبي الحسن المريني بالمنصورة،.ويحيط بالصحن رواق، ويوجد في ركن الرواق الأيمن بئر.

قاعة الدفن

ندخل إلى الحجرة الضريحية من خلال باب أبعاده 2.16م X 1.50م يعلوه عقد حدوي مزين بزخارف جصية متنوعة وخاصة الكتابية التي تشير إلى تاريخ إعادة ترميم الضريح من طرف المهندس الهاشمي بن صرمشيق بأمر من باي وهران عام 1208هـ/ 1793م

النص التأسيسي

الحمد لله أمر بتنميق* هذه الروضة المباركة المشتملة على ضريح* الشيخ سيدنا أبي مدين أدركنا الله رضاه* الأمير عبد الله* السيد محمد باي أيّده اللع ونصره وجعل* الجنة منزله عام ثمانية ومائتين وألف*.

انظر إلى الذر الأنيق* تراه في جيد شريق* نظمه فتى عشيق* الهاشمي بن صارمشق*.

قاعة الدفن

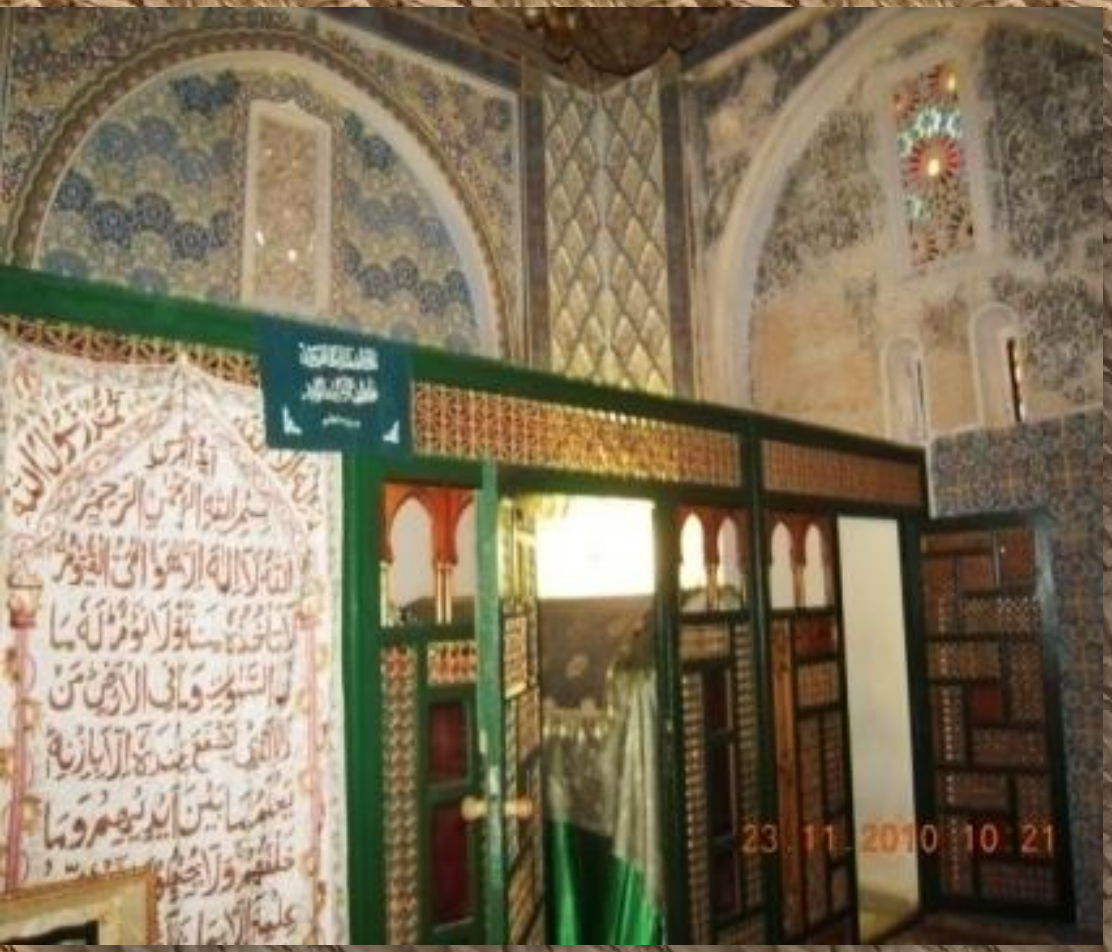

قاعة الدفن ذات مخطط مربع الشكل تقريبا، طول ضلعها 3.20م، تعلوها قبة تظهر من الخارج على شكل هرم، فتحت على مستوى رقبتها نوافذ للإضاءة إلى جانب الشمسيات التي تزين أعلى الجدران،
وتحتوي غرفة الضريح تابوت سيدي أبي مدين إلى جانبه تابوت عبد السلام التونسي

الزخرفة

لقد استخدم في تكسية وتزيين كل الأجزاء الداخلية أو بعض منها مادّة الجص التي كانت فضاء مناسبا بالنسبة للفنان لإبراز إبداعاته الفنية، ولتجسيدها لجأ إلى استخدام عناصر زخرفية متنوّعة بين نباتية وهندسية وحتّى خطية، ونشأ من ذلك التمازج لوحات فنية رائعة الجمال.

فقد غطّت ضريح سيدي أبي مدين الزخارف الجصية المتنوّعة كل الأجزاء العلوية لجدران قاعة الدفن، وشملت أيضا إطار المدخل المؤدّي إلى قاعة الدفن.

الزخرفة النباتية

لم يحد الفنانون في العهد التركي عن التقاليد الفنية التي استخدمها السابقون حيث أعطوا للزخارف النباتية عناية خاصّة فأصبحت تطغى على أنواع الزخارف الأخرى، وأضافوا إليها عناصر زخرفية جديدة نابعة من الطبيعة التركية، كما أعطوا للزخرفة النباتية نوعا من المرونة، بحيث أضحت تحاكي نوعا ما الطبيعة، وقد اتبع فابن صارمشق هذا النظام في عمله الفني فاستخدم مراوح نخيلية بسيطة ومراوح نخيلية مزدوجة بطريقة متناوبة، ونفذت هذه المراوح بطريقة متناظرة ومتدابرة، بحيث تعطي أشكالا عبارة عن زهيرات صغيرة، وإلى جانب المراوح النخيلية استخدم الفنان السيقان والفروع النباتية التي جاءت ملتوية وملتفة تنتهي بأوراق أو بأزهار، ولم تخل المناظر المنقوشة من زهرة اللالة التي صارت عنصرا أساسيا في الزحرفة العثمانية

الزخرفة الهندسية

كانت العناصر الهندسية دوما حاضرة بقوّة في التشكيلة الزخرفية التي ألف الفنان المسلم بتطبيقها على المساحات المخصّصة لهذا الغرض استخدمت العناصر الزخرفية الهندسية في زخرفة الضريح، فنجد الأطباق النجمية تزيّن مركز القبّة، وجاءت النجمة بأربعين رأسا، وكانت نتيجة تشابك عدّة أشكال هندسية مثل المربّعات والمستطيلات والمتعدّد الأضلاع، وقد تكون هذه الأشكال مدبّبة الأضلاع، كما امتزجت العناصر النباتية ببعض العناصر المعمارية، لاسيما العقود سواء كانت نصف دائرية أو مفصّصة، وجاءت العقود مرتكزة على أعمدة.

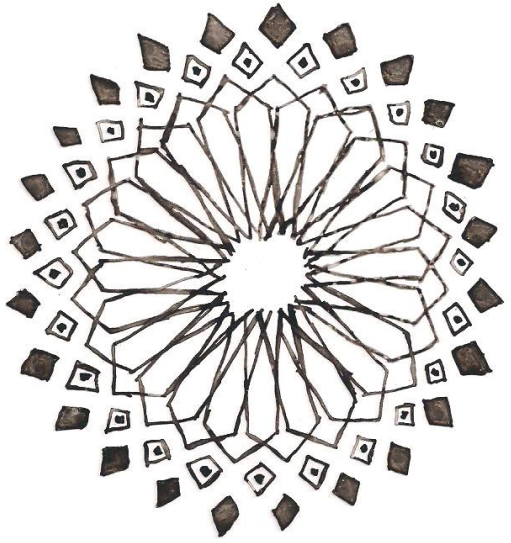

الزخارف الخطية

لقد جاءت هذه الزخرفة الخطية في شكل أشرطة أو جامات تؤطّر الكسيات الجصية للجدران وتحمل آيات قرآنية مثل الآيات من 100إلى 108 من سورة الأنبياء. استعمل فنان ضريح سيدي أبي مدين الخط النسخي المغربي في الزخرفة التي تزين مدخل قاعة الدفن، وأمّا الخط الكوفي فكان حاضرا ضمن الزخرفة التي تحليّ الجدران الداخلية لقاعة الدفن في الضريح، وقد جاء إمّا كوفي هندسي أو كوفي مورق.

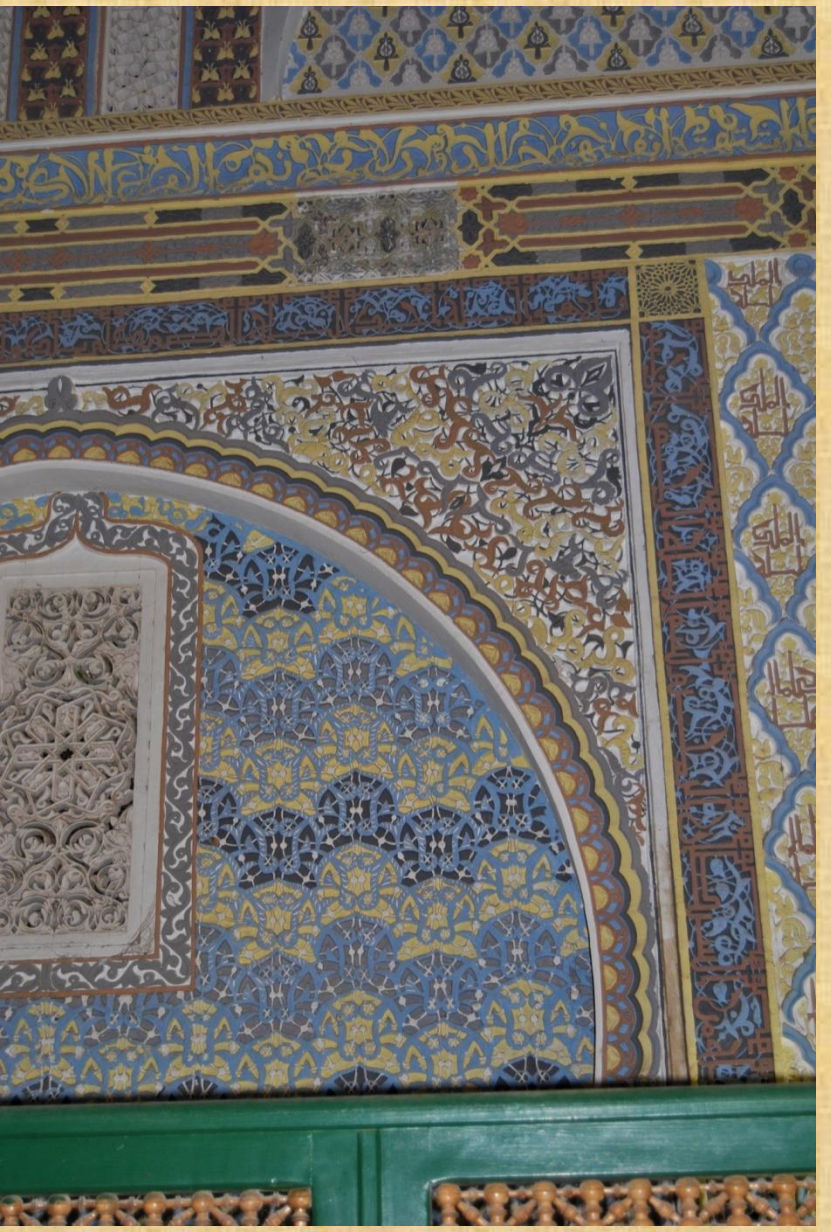

أضرحة شالة المرينية

الخلوة هي الروضة، وهي عبارة عن فضاء مستطيل الشكل يحيط به سور وتضم عددا من المباني الدينية والمدنية ويوازي الضلع الطويل من المستطيل سور مدينة شالة الجنوبي الشرقي الذي يحتضن باب البساتين .

وللخلوة بابان أحدهما في الجدار الجنوبي الغربي قرب باب البساتين ويعود إلى وقت متأخر، بينما يفتح الباب القديم بالجدار الشمالي الغربي، ولا يظهر من جدران هذه الخلوة سوى بروز هيكل محراب المدرسة أو الزاوية قرب الركن الشرقي للفضاء، ومكان الوضوء المجاور لمئذنة الزاوية الواقعة في الركن الشمالي للخلوة، وسور الخلوة مبني بالطابية ما عدا الجدار الجنوبي الغربي الذي شيد بالحجر المنحوت.

أضرحة خارج الخلوة

أول ما يقابلنا عندما نلج من المدخل الغربي الكبير منحدرين عند الطريق المتجه إلى الخلوة بقايا ضريحين بسفح الربوة المطلة من جهة اليمين، ويعرف أكبر الضريحين بلالة رجراجة ويقع خلف ضريح سيدي الحسن الإمام، بينما يعرف الضريح الصغير بضريح لالة صنهاجة، والضريحان متشابهان على الرغم من اختلافهما في النسب والأبعاد وهما عبارة عن قبة ترتكز على أربعة جدران، بها مدخل يعلوه عقد حدوي مدبب، وينسب بروفنسال وباسيه الضريحين إلى بعض أمراء بني مرين، إذ على الرغم من انتقال الدفن بالنسبة للأمراء من شالة إلى القلعة بفاس فإن بعض الأمراء الذين لم يصلوا إلى سدة الحكم واصلوا الدفن في شالة واختاروا الربوة المشرفة على الخلوة، ويدعم الباحثان رأيهما بتشابه الضريحين بضريحي أبي الحسن المريني وشمس الضحى داخل الخلوة وأضرحة قلعة بفاس.

أضرحة داخل الخلوة

أدّت نتائج الحفائر التي أجريت داخل الخلوة سنة 1959إلى الكشف عن عدد من مواقع دفن بعض السلاطين والأميرات والوزراء مثل الأمير أبي كمال تميم اليفرني أمير شالة وولده محمد وأم العز (ت683هـ) وزوجها السلطان أبو يوسف يعقوب (ت683هـ) داخل مسجد شالة العتيق بالأسكوب الذي أضيف بأمره سنة 675هـ، وربما يعود القبر المكتشف داخل الأسكوب في جهته الشرقية بنفس المسجد إلى أحد السلاطنين أبو يعقوب يوسف (706هـ) او أبو ثابت عامر (ت708هـ) فكلاهما نقلا بعد وفاتهما إلى شالة.

أضرحة السعديين

شيدت النواة الأولى للمقبرة من طرف السلطان عبد الله الغالب (933- 981هـ) سنة 1557م لتحتضن قبر أبيه محمد الشيخ (ت 964هـ) مؤسس الدوللة السعدية. كما قام ابنه ببناء قبة، حيث سيدفن سنة 981هـ/ 1574م. بعد ذلك قام السلطان أحمد المنصور الذهبي بأعمال توسعة وتزيين للأضرحة ودفن فيها هو وأبوه وأمه، لالة مسعودة، وأخوه بالإضافة إلى العديد من أفراد أسرة السلطان.

أما المنصور السعدي فقد قام ببناء مقبرة لنفسه، تشمل البناء الغربي لقاعاته الثلاث، ولاسيما القاعة الوسطى ذات الاثنى عشر عمودا التي يتوسطها قبر المنصور(1012هـ/ 1603م). ثم دفن إلى جانبه ابنه زيدان وتضم أكثر من 50 شاهد قبر.

كان الولوج إلى المقبرة يتم عبر باب يصله بالمسجد المجاور الذي بناه السلطان الموحدي يعقوب المنصور، لكنه منذ بداية القرن العشرين، عندما اكتشف هذا المجمع المعماري الجنائزي سنة 1917 من طرف مصلحة الفنون الجميلة والمباني التاريخية الفرنسية، تمت تهيئة ممر جديد في الركن الجنوبي - الغربي يفضي إلى داخل المقبرة حيث يوجد فضاء كبير تحيط بها قاعات عديدة، ويحدها من جهتي الجنوب والشرق سور داخلي مدعم بأبراج.

مخطط أضرحة الأشراف السعديين بمراكش

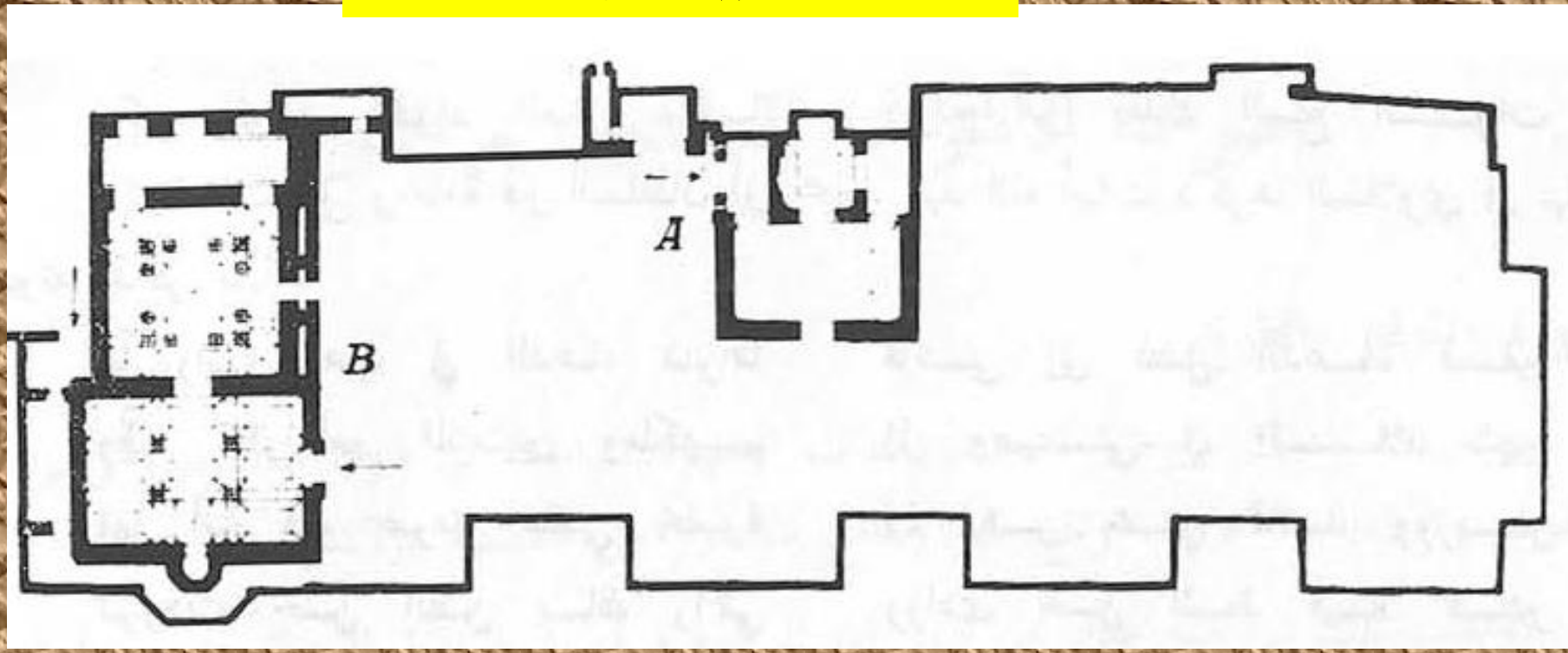

الوصف المعماري يرجى العودة إلى عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ، العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج:5، ص83-86

القسم الأول

يتكون من ثلاث قاعات، واحدة عبارة عن بيت للصلاة مكونة من ثلاث بلاطات بها عدة قبور تعود إلى القرن الثامن عشر. والمحراب هنا عبارة عن تجويفة خماسية الأضلاع يعلوها عقد حدوي منكسر يرتكز على أربعة أصناف من الأعمدة الرخامية وتنتهي حنيته بقبة ذات مقرنصات

تتألف المجموعة الأولى من المبنى من قسمين

القسم الثاني

فهو القاعة الوسطى التي تعرف بذات الإثنى عشر عمودا، وهي تعد من أجمل أجنحة المجموعة الأولى. تستند القاعة على أربع مجموعات متكونة من ثلاث أعمدة رخامية، وتغطيها قبة خشبية من الداخل مزخرفة بالمقرنصات. ويحتضن أرقى مكان بهذه القاعة قبر السلطان أحمد المنصور الذهبي مشيد هذا الجناح وقبر ابنه زيدان الناصر بن أحمد بالإضافة إلى قبور بعض خلفه.[2]

تنتهي هذه المجموعة بقاعة بها ثلاث فتحات تغطيها عدة سقوف من خشب العرعر. وعلى سطح اثنتين من المقبريات الأربع الموجودة بداخلها، يمكن قراءة كتابة تخلد ذكرى السلطان عبد الله الغالب وأبيه محمد الشيخ.

ضريح السلطان مولاي أحمد المنصور وبجانبه قبر ابنه زيدان.

المجموعة الثانية

وتعرف بقبة لالة مسعودة نظرا لوجود قبرها في القاعة الأولى، حيث يشكل النواة الأولى لهذا المجمع وقد شهد هذا الجزء أعمال توسعة في عهد أحمد المنصور، حيث أضيفت إليها في الجهة الجنوبية قاعة كبيرة مغطاة بسقف من خشب العرعار لم تستكمل زخرفته. وتضم هذه القاعة شرفتان يسبقهما رواقان يرتكزان على أعمدة رخامية تعلوها منضدات مزخرفة بواسطة مقرنصات وسواكف منقوشة من خشب العرعار.

الوصف المعماري والزخرفي للضريح

يغطي المسجد الضريح مساحة قدرها 1400م^2 ويتكون من مربع مركزي مغطّى بقبة كبيرة تقوم على أربعة عقود جدارية تحملها أعمدة مدمجة بالجدران، وتحتوي القاعة على محراب ذي عقد حدوي منكسر مزين بالبلاطات الخزفية جلبت من تركيا وإسبانيا وإيطاليا وتونس.

وتعد البلاطات التي تحوي بداخلها كتابات من أجمل البلاطات المزينة للضريح، كما زينت البلاطات بأشكال متنوعة نباتية وهندسية.

يجاور المسجد الضريح مئذنة من الطراز المغربي وهي ذات قاعدة وبدن مربع وتنتهي بجوسق، ووجود المئذنة دليل على الدور الديني الذي يؤديه المبنى لاسيما إقامة الصلاة، وتقع المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية ويصل ارتفاعها إلى 14.10م، ويزين واجهتها الجنوبية الشرقية صفوف من ثلاثة عقود ترتكز على أعمدة رشيقة يعلوها شريط من البلاطات الخزفية . وينتهي البدن بشرافات مسننة.

ينقسم البدن إلى ثلاثة ألواح متشابهة كثيرا، بينما يتوج الجوسق اثنتى عشرة شرافة ، وينتهي بقبيبة بسيطة، كما يزين الجوسق بلاطات خزفية.

مقام وضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي